

مميزات المجتمع الشيعي

المكان: طهران . حسينية الإمام الخميني (ره)

الحضور: جماعة من مداحي أهل البيت (ع)

المناسبة: ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (س)

الزمان: ١١/١/١٣٩٥ ش. ٢٠/٦/١٤٣٧ هـ. ٣٠/٣/٢٠١٦ م.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد، وآله الأطيبين الأزهريين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين. اللهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها، صلواتك وصلوات ملائكتك وأوليائك عليهم.

أبارك يوم العيد المبارك، وأشكر الإخوة الأعزاء الذين قدّموا تواشيعهم وبرامجهم، وقد استفدنا منها واستمتعنا بها حقاً. وهذا النشيد الأخير هو حسن الختام في كل سنة لهذه الجلسة، وحضرة السيد سازگار ينشئ هذا النشيد في كل سنة. وقد تمّ إنشاده هذه السنة بشكل جيد جداً. المضامين جيدة، والمفاهيم جيدة، وفيها دروس وتعاليم وتذكرة.

في هذه الجلسة التي تحضرونها أيها الإخوة الأعزاء - والأخوات المكرّمات موجودات أيضاً - خطابي أكثر شيء موجّه لكم أنتم الذين تحفظون بفخر مدح وذكر سيد الشهداء (سلام الله عليه) وأهل البيت (عليهم السلام). الحمد لله على أن عدد مداحي أهل البيت - وخصوصاً الشباب منهم - عدد كبير وكثير وجيد في هذا المجال، والكيفيات أيضاً جيدة حقاً في بعض المواطن. قضية مدح أهل البيت (ع) هذه تعدّ في بلادنا ظاهرة، وهي ظاهرة لا نجد نظيراً لها في أيّ مكان آخر. طبعاً مميزات المجتمع الشيعي والأمور التي تختص بهذا المجتمع ولا توجد في سائر المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، كثيرة. أصل العزاء مثلاً أو أصل قراءة المصاب لأهل البيت (عليهم السلام) المرفق عادة بالمواعظ والنصائح وبيان المعارف وقضايا الساعة وطرح الآراء المختلفة وكل ما يقتضيه كل زمن، هذه مما يختص به الشيعة، وقد كانت مستمرة منذ زمن الأئمة (عليهم السلام) إلى اليوم. هذا شيء غير موجود في أماكن أخرى، وهم يشعرون بفراغه. يشعرون بفراغه في الأماكن والمناطق الأخرى ويحاولون ملأه بشكل من الأشكال، ولكن دون جدوى. لكن هذه الظاهرة، ظاهرة مدح أهل البيت، والإنشاد في باب مديحهم وذكر مصابهم ومراثيهم وذكر مناقبهم وما شابهه هي أيضاً من المميزات والأمور الخاصة، فهي غير موجودة في أماكن أخرى بهذا الشكل، وبهذه الحالة العامة والسعة - والعموم هنا سواء من الناحية الكمية أو من حيث المعاني والمفاهيم وما إلى ذلك - . هذه الظاهرة جديرة بالعمل العلمي، أي من المناسب حقاً أن

يبادر طلبة الجامعات والأساتذة والباحثون للتفكير في هذه الظاهرة ويعملوا في إطارها، فيفسروها ويحللوها ويدلونها على سبل تنميتها وتطويرها. الواقع أننا نستعين بهذه الظاهرة، وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية. الحمد لله على أننا توفقنا وأتيح هذه الفرصة أمامنا طوال هذه الثلاثين ونيف من السنين بأن نقيم هذه الجلسة سنوياً مع الإخوة مداحي أهل البيت (ع). قد لا يكونوا قلائل بين جماعتكم الحاضرة هنا أولئك الذين تقلّ أعمارهم عن عمر هذه الجلسة. تنعقد هذه الجلسة منذ أكثر من ثلاثين سنة. إذن، فهي فرصة جيدة من أجل أن نتحدث بمقدار معين عن هذه الظاهرة.

حول السيدة الزهراء (سلام الله عليها) - وهذا لا نقوله من باب أن المرء يريد أن يتحدث بالكلام الدارج والعادي الذي يتحدثون به - نحن قاصرون حقاً وإنصافاً ونحن أصغر من أن نروم التحدث عن ذلك المقام العظيم. ألسنتنا وبياننا وفهمنا أقصر من أن نستطيع التحدث عن حقيقة أنوار تلك السيدة العظيمة وأمثالها من الأئمة المعصومين. «خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بَعْرَشِهِ مُحَدِّقِينَ» (٢). هذه هي قضية أنوار الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فما نريد أن نقول الآن؟ ولكن على صعيد سيرة هؤلاء الأجلاء وسلوكهم وكونهم أسوة باعتبارهم بشراً، بلى، الكلام كثير على هذا الصعيد. وقد قالوا الكثير من الكلام، وقد أشار بعض الإخوة لذلك في أشعارهم اليوم. والساحة واسعة وكبيرة للحديث في هذا الموضوع. نذكر عدة نقاط في هذا الخصوص.

علينا أن ننظر للسيدة الزهراء (سلام الله عليها) من هذه الزاوية الثانية، أي كونها أسوة ومثال يقتدى به. يتحدث الله تعالى في القرآن الكريم عن امرأتين باعتبارهما أسوة للمؤمنين وعن امرأتين باعتبارهما نموذجاً للكافرين «ضَبْرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» (٣) ثم في الآية «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ» (٤). يطرح الله هاتين المرأتين كنموذج للمؤمنين - لا للنساء المؤمنات بل للنساء والرجال المؤمنين - . يمكن النظر لهؤلاء الأجلاء من هذه الزاوية، أي باعتبارهم نموذجاً وأسوة واستلهم الدروس منهم. طيب، فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي الصديقة الكبرى بين الصديقين والصديقات، والكبرى تعني أنها كانت أكبر صديقة.

والآن، نروم أن نستلهم منها الدروس. تستلهم النساء الدروس منها، والرجال أيضاً يستلهمون الدروس منها، الكل - العلماء والجهلاء - يستقون الدروس منها. لنرى ما الذي ورد في كلمات الأئمة المعصومين من مديح لهذه الإنسنة العظيمة. في زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) حين يأتي الدور للسيدة الزهراء للصلاة عليها - وهي الزيارة المليئة بالصلوات - يقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ» (٥)، هذه إحدى الخصوصيات. طيب، هذه خصوصية مهمة جداً، وهي بالطبع خصوصية لا تقبل التأسي، لا يتاح لكل النساء أن يكنّ بنات للرسول الأكرم (ص)، لكن الانتساب للرسول بأن تكون ابنته مؤشر مقام رفيع. «وَزَوْجَةَ وَايِكَ»، وهذه الثانية أيضاً لا تقبل التأسي، فلا يمكن لكل النساء أن يكنّ زوجة

لولي الله، لكن هذه السمة تعبر عن رفعة المقام وسمو الشأن والجاه والجلال الذي تزدان به هذه الإنسانية العظيمة. «وَأُمُّ السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» الجانب العملي لهذه الخصوصية أكثر من تلکم الصفتين السابقتين. إنه جانب عملي يختص بتربية السبطين، سبطين هما «سيدا شباب أهل الجنة». هذه الإنسانية العظيمة هي أهمها، الحجر الطاهر لهذه الأمّ هو الذي استطاع تربية هؤلاء. هذا هو الشيء الذي يمكنه أن يمثل بالنسبة لنا نموذجاً وأسوة.

ثم يقول: «الطُّهْرَةُ الطَّاهِرَةُ الْمُطَهَّرَةُ التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ الرُّضِيَّةُ الرُّكِيَّةُ» (٦)، وهذه كلها صفات عملية تطبيقية. الطهارة بثلاثة بيانات، وهذه البيانات الثلاثة «الطهر» و«الطاهر» و«المطهر» مختلفة من حيث المعنى. وكل هذه التعابير فيها إشارة إلى الطهارة والطهر: طهارة الروح، وطهارة القلب، وطهارة العقل، وطهارة الأذيان والحجر، وطهارة كل الحياة. هذه أمور تطبيقية، وهي دروس لنا، فيجب أن نحاول تطهير أنفسنا. لا يمكن الارتقاء إلى المراتب العليا من دون طهارة الباطن. ولا يمكن الوصول إلى حريم ولاية هؤلاء العظماء الأجلاء. لا بدّ من طهارة الباطن. طهارة الباطن تحصل بالتقوى والورع والمراقبة، المراقبة والملاحظة الدائمة للنفس تحقق الطهارة. طبعاً الإنسان يخطئ، ويمكن أن تطرأ علينا عوارض سوداء، لكن الله عرض علينا وعلمنا طريق محو هذه العوارض السوداء. الطريق هو التوبة والاستغفار. أن نستغفر. الاستغفار معناه طلب المعذرة. «استغفر الله» معناها أعذرني يا إلهي، فأنا أعتذر إليك. أن نعتذر إلى الله تعالى حقاً وقلباً ومن أعماق قلوبنا. هذا هو الاستغفار، وهذا ما يمحو ويزيل تلك العوارض والبقع السوداء. طيب، يقول: «الطُّهْرَةُ الطَّاهِرَةُ الْمُطَهَّرَةُ، التَّقِيَّةُ» وهذه هي التقوى نفسها. «التَّقِيَّةُ» ويقصد بها النقاء والطهارة الباطنية والقلبية. هذه خصوصيات فاطمة الزهراء (سلام الله عليها). يجب أن ننظر لهذه الصفات كنموذج وأسوة، ونقرب أنفسنا منها.

طيب، إنكم باعتباركم مداحي أهل البيت (ع) عندما تريدون التحدث عن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) يجب أن تدرجوا هذه الصفات والمثل في بياناتكم وأشعاركم ومدائحكم. نعم، عندما تذكر المراتب والمدارج المعنوية للأئمة (عليهم السلام) وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) يتنور قلب المستمع. وعندما يقرأ الإنسان المراتب المعنوية يتنور قلبه، ويكتسب حالة حضور وخضوع، وهي حالة حسنة جداً. هذا شيء محفوظ ولازم في محله، لكنه غير كاف. الآن وقد حصلت حالة الحضور هذه وتنوّرت قلوبكم يجب أن نستلهم الدروس. والدروس كامنة في هذه العبارات التطبيقية. بمعنى أن نحاول في كل منبر - سواء في الأيام الفاطمية أو في أيام عاشوراء أو في الأوقات الأخرى - أن نستمد الدروس من الأئمة (عليهم السلام). درس أن يكون الإنسان إنساناً، ودرس الكمال، ودرس التقرب إلى الله. يجب أن نقتبس الدروس ونتعلم. المحبة وحدها لا تكفي. طبعاً المحبة مجدية ومفيدة لكنها غير كافية، ولا بدّ من الولاية.

والولاية معناها التولي والاتباع والإمساك بأذيالهم وعروتهم، وأن يسير المرء في الدرب الذي مشى هؤلاء عليه. هذا هو اللازم.

هذه نقطة اعتقد أنه ينبغي أخذها بنظر الاعتبار في عملية مدح أهل البيت (ع)، وخصوصاً بالنسبة للقراء والشعراء الذين ينظمون الأشعار ويصوغون المعاني. أحياناً يرى المرء أنهم يذكرون فضائل لم ترد في أية رواية ولا في أية عبارة عن المعصوم، وهي في الواقع ليست بفضيلة. يقول الشاعر: «من قاس وجهك بالقمر عن خطأ» إنما انتقص من قدرك (٧). تشبيهم بالقمر وتشبيهم بالشمس ليست أشياء تحقق قيمة لهم، خصوصاً بالنسبة لأجلاء وعظماء لهم مراتب معنوية ومدارج إلهية تذهل أعين أهل المعنى، ناهيك عنا نحن الذين لا نمتلك تلك الأعين حتى نفهم بها. وأحياناً تذكر أمور كلية لا يفهم منها شيء ولا يستفيد المستمع منها شيئاً. إذن، فكرتي الأولى التي أروم قولها لكم أيها الإخوة الأعزاء هي أن تنتفعوا في مدح هؤلاء العظماء - سواء السيدة الزهراء (سلام الله عليها) أو أئمة الهدى (عليهم السلام) - بالتأكيد من الأمور العملية التطبيقية في حياتهم.

نقطة أخرى شائعة في الوقت الحاضر بين جماعة مداحي أهل البيت (ع) لحسن الحظ هي الاهتمام بشؤون الساعة، وقد سمعتم اليوم هنا أنهم ذكروا في مواضع مختلفة أموراً حول المدافعين عن الحرم وقضايا الساعة الجارية. هذه أمور مهمة جداً، وهي قضايا أساسية. يجب أن لا نتصور أن هذه أمور خارجة عن نطاق تدبينا. لاحظوا الرسول الأكرم (ص) وسيد الخلائق في العالم والذي لم يخلق الله تعالى أي كائن أرقى منه، وهو رسول هذا الدين وهذا الإسلام الذي ننادي به اليوم، لاحظوا كم بذل من الجهود على صعيد قضايا بلاده الجارية - البلاد التي كانت آنذاك وهي بلاد صغيرة - وكم كان يتحمل من المشاق. لم يكن الرسول الأكرم (ص) يجلس فقط ويعلم الناس أحكام الصلاة والصيام والتوجه إلى الله والعبادة وصلاة الليل، لا، بل كان يجمع الناس في المسجد ويدعوهم إلى الجهاد، ويدعوهم إلى الوحدة، ويدعوهم إلى الوعي مقابل العدو، وهذه هي نفس الأمور والقضايا المطروحة بالنسبة لنا أنا وأنتم اليوم. قضايا الساعة ليست بالأمور التي يمكن للمرء غض الطرف عنها.

لاحظوا، ثمة في العالم نظام هو نظام الاستكبار والعسف والظلم. طبعاً كانت مثل هذه الأنظمة موجودة في الماضي أيضاً، لكنها أصبحت اليوم حديثة بتجهيزات ومعدات ووسائل جديدة. القوى المتفوقة تفرض على الشعوب منطق القوة والعسف، وليس لأساليبها هذه من حدود. إذا كان لديهم أموال يأخذونها، وإذا كانت لديهم طاقات إنسانية لا ثقة يسرقونها منهم، وإذا كانت لديهم مواهب تهددهم وتخلق لهم منافسين يخنقون تلك المواهب. منطق القوة والعسف له أشكال وأنواع مختلفة. هذا العسف موجود في العالم اليوم. النظام العالمي الذي يسمونه المجتمع العالمي معناه نظام العسف ومنطق القوة، وإلا ليس المراد من المجتمع العالمي الحكومات والشعوب في العالم. الحكومات والشعوب في العالم تكره أشكال هذه

القوى المتفوقة في العالم والتي تسمي نفسها المجتمع العالمي. المجتمع العالمي معناه هؤلاء الأشخاص الذين ينطلقون في أمورهم من منطلق العسف ضد كل الشعوب وكل البلدان. ونحن في الجمهورية الإسلامية شاهدنا نماذج هذه الأساليب قبل نظام الجمهورية الإسلامية، أي خلال فترة النظام الطاغوتي بشكل من الأشكال، وبعد تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية بشكل آخر. ثمة اليوم نظام في العالم بهذا الشكل. وهناك الكثير من الساخطين على هذا النظام وغير الراضين عنه. الكثير من الشعوب غير راضية عنه. ولكنها شعوب مغلوبة على أمرها، ولا أحد يسمع صوتها، لا تمنح لها وسائل إعلام مجددة، ولا يؤخذ كلامهم أصلاً بالاعتبار في مكان ما. ولنفترض أن عشرة آلاف شخص يجتمعون في وسائل الإعلام الإلكترونية وما شاكل، داخل واحدة إلكترونية معينة، ويقولون كلاماً معيناً، أو يتجمعون في الشوارع، وما الفائدة من ذلك؟ في قضية الهجوم الأمريكي على العراق قبل أقل من خمسة عشر أو ستة عشر عاماً خرجت مظاهرات في شوارع باريس وبعض البلدان الأوروبية تعارض أمريكا، فما كان تأثيرها؟ الشعوب لوحدها ومن تلقاء نفسها لا تستطيع فعل شيء، إنما الحكومات إذا حظيت بدعم شعوبها يمكنها أن تقول شيئاً وي طرح هذا الكلام في العالم، ومثل هذه الحكومة غير موجودة في العالم. هناك حكومات لكنها تخاف، إنها غير راضية لكنها تخاف. أتخطر أنني قلتُ في كلمتي بمناسبة بداية العام (٨) بأن رؤساء النظام الطاغوتي أيضاً كانوا غير راضين في أحيان كثيرة عن أعمال أمريكا. حينما ينظر المرء في مذكرات المتبقين منهم يجد أنهم في بعض المواطن كانوا غير راضين أبداً ويتكلمون عنهم كلاماً سيئاً في خلواتهم، لكنهم لا يتجرأون على الاعتراض والمخالفة. لا يتجرأون على ذلك بصفتهم حكومة وكياناً سياسياً وإدارة للمجتمع. هكذا هو الحال في العالم اليوم. الكثيرون غير راضين لكنهم لا يتجرأون على المعارضة.

وفي هذه الغمرة، وفي هذه الغابة الفوضوية الغارقة في الظلم والجور، ظهر نظام في العالم له ركائز وأسس تمثل الوضع المعاكس تماماً لذلك الشيء الذي يقوم عليه النظام العالمي اليوم، الحالة المعاكسة للظلم، والحالة المعاكسة للاستغلال، والوضع المضاد لإثارة الحروب، والحالة النقيضة للفساد. ذلك النظام هو نظام الجمهورية الإسلامية. ظهر هذا النظام على أساس الإسلام وعلى أساس الدين وعلى أساس الأفكار الإسلامية الخالصة الأصيلة، وتولت جماعة رئاسة هذا النظام منذ البداية وكانت طبيعة هذه الجماعة أنها لا تخاف من القوى الكبرى، وهم علماء الدين. هذا ما يقوله المحللون وعلماء الاجتماع الغربيون اليوم أنفسهم. وقد كانوا يقولونه منذ مطلع الثورة الإسلامية، كانوا يقولون إن علماء الدين هؤلاء لا يخافون منا. طبعاً بعضهم قد يكونوا تابعين وهم تابعون، لكن هذه هي طبيعة نظام علماء الدين في المجتمع الشيعي. وقد كان هؤلاء على رأس هذا النظام، وواكبهم الشعب ورافقهم. والشعب أولاً شعب موهوب وثانياً الشباب فيه كثيرون - وصل عدد سكاننا من ٣٥ مليوناً في بداية الثورة إلى حوالي ٨٠ مليوناً الآن،

بمعنى أن عدد السكان ازداد فجأة، مع أنهم يتآمرون حتى على هذا الجانب - المواهب كثيرة، وهم شجعان ولا يخافون. طيب، عندما يفكر الشعب في بلد من البلدان بهذه الطريقة، ورؤساء الدولة لا يخافون من الهيمنة العالمية سيعتبر هذا خطراً أساسياً على الاستكبار، إنه خطر كبير تماماً. لذلك تتكون ضده جبهة، كما تشكلت الآن جبهة ضد الجمهورية الإسلامية. وليس الآن، بل تشكلت هذه الجبهة منذ اليوم الأول للثورة، تشكلت جبهة من الأعداء. وقد كان الاتحاد السوفيتي يومذاك وكانت أمريكا على الضد منه، وإذا كان هذان الطرفان مختلفين في مائة قضية - تزيد أو تنقص - لكنهما كانا متفقين في معارضة الجمهورية الإسلامية ومعاداتها. طبيعة الاستكبار أن يعادي مثل هذا النظام.

إذا، شكّلوا جبهة، وهي جبهة موجودة اليوم أيضاً، وتستخدم شتى الأساليب. كما لم تكن شبكة الإنترنت مثلاً قبل عشرين سنة وهي موجودة اليوم، فالأدوات والوسائل تتطور يوماً بعد يوم. يستخدمون أكثر الأدوات وأوسعها وأسرعها ضد الجمهورية الإسلامية، وعلى الجمهورية الإسلامية بدورها أن تعد نفسها للاستفادة من كل هذه الوسائل والأدوات. يستخدم العدو وسيلة الدبلوماسية. الدبلوماسية والحوار السياسي والتفاوض السياسي والتعامل السياسي من هذه الأدوات. إنهم يستخدمون هذه الأداة. إنني لا أعارض الحوار السياسي، طبعاً ليس مع الجميع - فهناك استثناءات - إنني أوافق الحوار السياسي حول القضايا العالمية. كان لي رأي في هذه المجالات منذ زمن رئاسة الجمهورية وكنت أتابع الموضوع. لا يتظاهروا وكأننا نعارض الحوار وما شابه من الأساس، لا، إننا نوافق هذا الشيء أكثر منهم، وفي بعض المواطن نجده أكثر منهم، ونعلم كيف ينبغي العمل. العدو أيضاً يستخدم الحوار السياسي، فيجب الحذر.

إذن، هو يستفيد من المفاوضات، ويستفيد من المبادلات الاقتصادية، ويستخدم الحظر الاقتصادي، ويستخدم التهديد بالحرب والسلاح، وينبغي التوفر على قوى دفاعية مقابل كل هذه الأساليب.

أن يقول البعض «عالم الغد عالم المفاوضات وليس عالم الصواريخ»، فإذا كان هذا الكلام نابعاً من عدم وعي فهو بالتالي عدم وعي، ولكن إذا كان يقال عن وعي فهو خيانة. كيف يمكن مثل هذا؟ إذا سعى نظام الجمهورية الإسلامية إلى العلم والتقنية والمفاوضات السياسية ومختلف النشاطات التجارية والاقتصادية - وكل هذه النشاطات لازمة - ولكنه لم يتوفر على قوة دفاعية ولا يقدر على الدفاع، فإن أي تافه وأية حكومة مجهرية صغيرة فلانية ستهدده بأنك إذا لم تفعل الشيء الفلاني فسنقصفك بالصواريخ. طيب، إذا لم تتوفر لديكم القدرة على الدفاع ستضطرون للتراجع.

القوى التي تشاهدونها في العالم تتحدث بقوة وصوت قوي وتتعسف وترتكب الحماقات وتطلق كلاماً سيئاً، تفعل ذلك توكؤاً على تلك الأسلحة التي تمتلكها أكثر من أي شيء آخر، وإذا بنا نخلي أيدينا مقابلهم؟ عندما يستعرض الحرس الثوري تقدمه في الصواريخ لا يبعث ذلك الفخر والاعتزاز لدى

الإيرانيين فقط، إنما حين تختبر صواريخ الحرس بهذه الدقة وبهذه الروعة فستفرح كثير من الشعوب الثائقة إلى الحرية حولنا، والتي امتلأت قلوبهم قيحاً من أمريكا والكيان الصهيوني. عندما يحدث هذا نأتي نحن وننال منهم ونقول إن الزمن لم يعد اليوم زمن الصواريخ؟! لا، لم يمض زمن الصواريخ، والعدو يحدث ويطور نفسه دائماً ويزيد من جاهزيتته، ثم نتراجع نحن هنا بسداجة ونقول لا؟! هذا يشبه ما حدث في بداية الثورة حيث كانوا يريدون بيع طائرات الأف ١٤ الإيرانية وإعادتها، ولم أسمح أنا بذلك. اطلعتُ على أن أحد شخصيات الحكومة المؤقتة في ذلك الحين قال إن طائرات الأف ١٤ التي اشتراها نظام الطاغوت لا تنفعنا فما نريد أن نفعل بطائرات الأف ١٤ هذه؟! لنعيدها للأمريكان. هناك وقفنا، وأثرنا ضجة، وأجرينا مقابلات، وواجهنا هذا الإجراء، فلم يتجرأوا على فعل ذلك، وكانوا يريدون إعادتها. وبعد فترة قصيرة وقعت الحرب بين إيران والعراق، وهجموا علينا وتبين كم نحن بحاجة لهذه الأدوات التي عندنا، وهذه الطائرات أف ١٤ وأف ٤ وما شابه. واليوم أيضاً يعزف البعض نفس اللحن فيقولوا ما الصواريخ وما نريد من الصواريخ، فالزمن ليس زمن صواريخ؟! زمن ماذا هو إذن؟

الزمن اليوم زمن كل شيء. إنه زمن التفاوض، فيجب أن نكون أقوياء في التفاوض، وينبغي أن نتفاوض بحيث لا ننخدع بعد ذلك. أن نتفاوض ونكتب على الورق بعض الأشياء ونوقع، ثم يقومون هم ببعض الأعمال في الظاهر، لكن الحظر لا يرفع والتجارة لا تجري، فواضح أن هناك مشكلة، ويجب أن لا نسمح بحدوث مثل هذه المشاكل والعقبات، وينبغي أن نقوّي أنفسنا على ذلك الصعيد أيضاً. وكذا الحال بالنسبة لاقتصاد البلاد في الداخل، وقد قلنا إنه لا بدّ من المبادرة والعمل (٩) أي يكفي القول والكلام، وكما يقول الشاعر «لا يعادل مائتا قول نصف فعل». وعندما نكرر كثيراً ونقول الاقتصاد المقاوم فإن الكلام سيغدو مكرراً ومملاً لا تستسيغه الأفواه. لنعمل، فالقصد هو أن البلد يحتاج إلى العمل.

هذا كله في جانب من القضية والمساعي التي يقوم بها العدو لتغيير معتقدات الناس في الجانب الآخر من القضية. هنا سيكون لكم دور مهم. عندما تدافعون عن المدافعين عن الحرم سيكون عملكم هذا قيماً جداً. هذه الأشعار التي قرئت وأنشدت وهذا الكلام الذي قيل، هذه أشياء لها قيمة كبيرة، ولا شك في هذا، ولكن ثمة إلى جانب هذا عمل إذا لم تكن أهميته أكبر فإنها ليست بأقل، وهو تعزيز معتقدات الشباب. العدو يروم تغيير المعتقدات، الاعتقاد بالإسلام والاعتقاد بكفاءة النظام الإسلامي، والاعتقاد بإمكانية استمرار النظام. والعدو يعمل وينشر إعلامه بخلاف البديهيّات. أحياناً يعمل ضد شيء واضح وكأنه يريد إثباته بالخداع والحيل والتعظيم. منذ اليوم الأول الذي ولد فيه النظام الإسلامي وإلى اليوم كان دائماً عرضة لهجمات عاتية، هجمات كبيرة عسكرية وإعلامية والحظر وما شاكل، ومع ذلك فقد تطور النظام الإسلامي في هذه الأعوام السبعة والثلاثين. أي لم يمر يوم واحد توقف فيه هذا التطور. لقد تطور من كل النواحي وازداد اقتداره وعظمته من كل النواحي. ينظر العدو اليوم فيرى أن تلك الغرسة الصغيرة

الرقيقة التي تكوّنت في بداية الثورة تحوّلت اليوم إلى شجرة ضخمة فارعة «تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها» (١٠). هذا ما يروونه أمام أعينهم. طيب، هذا النظام القادر على المقاومة والبقاء حياً والانتشار وازدياد القوة باستمرار، سوف يزداد قوة بعد الآن أيضاً باستمرار، سوف يزداد قوة يوماً بعد يوم. الشيء الذي رسمناه لآفاق المستقبل ليس بأخيلة، بل هو واقع. قبل ثلاثة أو أربعة أعوام قلت للشباب من الطلبة الجامعيين والعلماء اعملوا ما من شأنه أن يضطر الذي يريد الاطلاع على الجديد في العلوم أن يتعلم اللغة الفارسية (١١)، وهذا شيء ممكن ومتاح، كما أن الحراك العلمي والتقدم العلمي الذي تحدثنا عنه قد تحقق خلال هذه الأعوام العشرة أو الخمسة عشر. عندما يعقد الشباب همهم وعندما تكون لأصحاب الهمم عزيمتهم وإرادتهم سوف تتسهل كل الأعمال الصعبة. بوسعنا أن نتقدم. وفي الوقت ذاته يحاول العدو التأثير على معتقدات شبابنا، فيقول لهم: «وما الفائدة من ذلك، هذا شيء غير ممكن، ولا فائدة منه». هذه هي الساحات التي تنصب عليها الحرب النفسية للعدو، وأنتم بوصفكم مداحين لأهل البيت (ع) تستطيعون التأثير ويمكنكم أن تقفوا هؤلاء الشباب من حيث البنية الفكرية.

حين أعرّضُ على بعض مداحي أهل البيت (ع) بأن المرء عندما ينظر لمراسم العزاء في عشرة محرم - وأحياناً يأتون بصور هذه المراسم، وقد كثرت وسائل الاتصال هذه في الوقت الحاضر، وأنا طبعاً لا أملك من هذه الوسائل، لكنهم يأتوننا أحياناً ببعض الصور وما شابه ويعرضونها علينا - يرى الإنسان مثلاً أن الجميع في بعض جلسات هذه المراسم يقفزون إلى الأعلى ويعودون إلى الأرض، طيب، ما فائدة هذه الأعمال؟ وما تأثير هذه الأفعال؟ أين العزاء في هذه الأعمال؟ حين أعرّضُ فإننا لسنا منزعجاً من هياج الشباب، فالشباب من أهل الهياج بطبيعتهم، والشباب مصدر طاقة ويريدون دوماً تحرير طاقتهم، إنما أقول ذلك من باب أن لا تترك هذه الواجبات الجسام. عندما يجتمع عشرة آلاف شاب أو خمسة آلاف شاب في مجموعة واحدة ويمنحونكم قلوبهم فإنكم تستطيعون بأداء مميز وفني وعميق المعاني أن تحولوهم إلى أناس كفؤين يتوجهون بعزيمة حاسمة نحو العمل، ويمكنكم في الوقت ذاته تبديلهم إلى أناس لأباليين وعديمي التفكير ويائسين ومفلسين من الناحية المعنوية، يمكن فعل هذا أيضاً. استفيدوا من هذه الفرصة واختاروا الحالة الأولى. هذا هو ما أقوله.

المدح إضافة إلى كونه مدحاً لأفضل مخلوقات العالم - موضوع المدح هم أفضل مخلوقات العالم، أي أهل بيت النبي (عليهم السلام) لذلك فهو عمل ذو شأن ومرتبة عالية، هكذا هو مدح أهل البيت بشكل طبيعي - ولكن انظروا ولا حظوا أن شاعراً مثل دعبل الخزاعي ماذا يقول في قصيدة «مدارس آيات»، قصيدة «مدارس آيات» تلك القصيدة التي شجعها الإمام الرضا (سلام الله عليه) أعطى شاعرها كسوة وصلة. إنها قصيدة شككت في كل كيان بني العباس وميرر وجودهم، وأدانتهم، أي إنها قصيدة سياسية محضة، فهي ليست مجرد تعزية أم مرثية محضة، لا، المرثي لازمة، ولكن الأمر الذي كان يحصل إلى

جانب المراثي والتعازي كان موضع اهتمام الأئمة (عليهم السلام). قصيدة دعبل، وقصيدة الكميت، وقصائد مختلفة للشعراء آنذاك، وكان الآخرون أيضاً يمشدونها ويقرأونها، أي مثلكم حينما تقرأون للناس، سواء الشاعر نفسه أو آخرون كانوا يقرأون هذه القصائد للناس. وقد كانت هذه هي وسائل الإعلام العامة. وبوسعكم أن تستفيدوا من هذه الوسائل الإعلامية العامة وتعملوا على هداية الناس. هذا برأيي عمل أساسي جداً.

معروف أن شرف أي علم منوط بشرف موضوع ذلك العلم. كلما كان موضوع العلم أشرف كان ذلك العلم أشرف. وإذا عممنا هذا القول من العلوم إلى الأشغال والأعمال، فإن موضوع عملكم وهممكم هو مدح أهل البيت (عليهم السلام) ورفع مستوى البصيرة وتوعية المستمعين، وهذا أرفع الأمور وشيء له قيمة عظيمة جداً، فانتفعوا من هذه القيمة. والحمد لله على أن عدد مداحي أهل البيت (ع) كبير، وأنتم الجماعة الذين تفضلتم بالمجيء هنا اليوم جماعة جيدة لكن عدد مداحي أهل البيت أكثر من هذا في كل أرجاء البلاد. العدد في كل مكان كبير والحمد لله، فهناك أفراد راغبون يعملون في هذا المجال. على كل حال هذه رسالة مهمة جداً، ويجب أن تهتموا بهذه الرسالة. طبعاً للشعراء أيضاً دور مهم، فالشعراء الذين ينظمون الشعر لهم دور مهم، لكن الشعر من دون أداء جيد قليل التأثير، وحينما تنشدونه بذلك الأداء الراقي الجيد سيكون مؤثراً.

نتمنى أن يوفقكم الله تعالى وإيانا لنستطيع أولاً تشخيص ما هي وظائفنا وفهمها، ثم نعمل بها إن شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله

- ١ - في بداية هذا اللقاء قرأ عدد من مداحي وشعراء أهل البيت (ع) أشعاراً ومدائح تضمنت فضائل ومناقب للسيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).
- ٢ - من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٣.
- ٣ - سورة التحريم، شطر من الآية: ١١.
- ٤ - سورة التحريم، شطر من الآية: ١٢.
- ٥ - كامل الزيارات، ص: ٣١٠.
- ٦ - من لا يحضره الفقيه، ج: ٢، ص: ٦٠٣.
- ٧ - إشارة إلى بيت وثوق الدولة «من قاس وجهك بالقمر خطأ، قال إنه انتقص منك بمقدار وزنك».
- ٨ - كلمته في حشود الجماهير بالحرم الرضوي الشريف في تاريخ ٢٠/٣/١٦٠٢٠ م.
- ٩ - إشارة إلى شعار هذه السنة «الاقتصاد المقاوم، المبادرة والعمل».
- ١٠ - سورة إبراهيم، شطر من الآية: ٢٥.

١١ - من ذلك كلمته في المشاركين في المتلقى الوطني السابع للنخبة الشباب بتاريخ:
٢٠١٣/١٠/٠٩ م .

